جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ
المرحلة الثانية

# تاريخ البلاد العربية القديم

## ((الحالة السياسية والاقتصادية ))
## ((والاجتماعية والفكرية))

**استاذ المادة أ.م.د. صبحي محمد جاسم العبيدي**

العام الدراسي ٢٠٢٥ – ٢٠٢٦

# الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية

أدت الأسباب التي دعت إلى طرد الهكسوس من مصر إلى تأليف حكومة تهتم بالجانب العسكري اهتماماً جديداً، لأن اختيار أحمس الأول لنوع الحكومة كانت نتيجة مباشرة لخبرته الحربية والسياسية مع الحكم الأجنبي، تلك الخبرة التي جعلته قائداً لجيش مصري مدرب على...

الكفاح. كما أن الغزوات التي قام بها الفراعنة من بعده على كل من سوريا وفلسطين كانت انعكاساً لذلك الاختبار، ومن نتائج تلك الغزوات كان تكدس الأموال والغنائم والأسرى داخل مصر التي أدت بالتالي إلى استغلالها في المجالات العمرانية والفنية منذ حكم الأسرة ١٨، لذا وجه أحمس عنايته نحو إصلاح ما أفسده الدهر من آثار الإله العظيم (آمون) الذي بزعمه قد هيأ له النصر على الأعداء، فأمر بصنع أوانٍ جديدة لمعبده بالكرنك، كما صنع سفينة الإله (آمون) التي كانت تجري في النيل بين الكرنك والأقصر تحمل تمثال الإله في عيد رأس السنة. لكن تحتمس الأول وجه جهوداً أكثر إلى إقامة المباني تخليداً لأولئك الآلهة الذين وهبوه النصر على أعدائه، فكان أول أثر أقامه هو قاعة عمد فسيحة في معبد (آمون)، وقد استمر تحتمس الثاني في أعمال التعمير والمباني التي تركها والده من غير أن تتم في معبد الكرنك كما نقش اسمه في آثار معابد (قبة وسمنة وإسنا) وغيرها من المناطق. أما المعبد الجنائزي المشيد على الضفة الغربية للنيل أمام الأقصر والهيكل المصنوع من المرمر في الكرنك فهي من بقايا آثار أمنحتب الأول الذي سبق هؤلاء في الحكم.

تزوج تحتمس الثاني من أخته حتشبسوت واعتلى العرش ولكن الخلاف كان شديداً بينهما وقد أثر تأثيراً ملموساً في مستعمرات مصر الجنوبية فأراد الأمراء المحليون أن ينفضوا عنهم سلطان مصر وقامت الثورة في السودان. وبموت تحتمس الثاني بدأت فترة صراع بين حتشبسوت وأنصارها من جهة وبين تحتمس الثالث وأنصارها من جهة أخرى ويبدو أن تحتمس الثالث الذي يرجح أنه كان ابناً لتحتمس الثاني من زوجة أخرى غير حتشبسوت كان صبياً يشغل وظيفة كهنوتية في معبد الكرنك حينما توفي والده، واشتد النزاع بين أنصاره وبين أنصار حتشبسوت فاستعان أنصاره بكبار كهنة آمون الذين أعلنوا أن الإله آمون قد اختاره ليجلس على العرش، لكن حتشبسوت وضعت كل مقاليد الأمور في يدها ولم يرد له ذكر إلى أن ماتت وانفرد هو بالحكم. ومهما يكن فإن عهد حتشبسوت كان عهد رخاء وطمأنينة، ولا جدال في أنها كانت قديرة في الحكم استطاعت أن توجه نشاط الدولة إلى

التجارة والأعمال الإنشائية، إذ أرسلت حملة إلى بلاد بونت جلبت البخور وأشجار المر وبعض حاصلات المناطق الاستوائية وكميات كبيرة من الذهب من أجل معابد الإله آمون، وقد صورت مناظر هذه البعثة على جدران معبدها في الدير البحري كما شهدت معبداً من الجرانيت في الكرنك وصالة كبيرة أمامها كما أنها أصلحت غيرها من المباني. وقد دلت الحفائر على أن بعض المباني الدينية التي كانت موجودة أثناء

إقامة معبد حتشبسوت في الدير البحري قد أزيل منها معبد صغير لأمنحتب الأول ووالدته وكذلك معبد صغير من عهد الأسرة الثانية عشرة، كما رص الطريق الذي يبتدئ من باب المعبد شرقاً حتى يصل إلى باب آخر وجدت آثاره بتماثيل أبو الهول في صورة الملكة نفسها على كلا الجانبين، وقد كان الرواق السفلي مزيناً بمثل هذه التماثيل، وظاهر أن تحتمس الثالث أزالها من أماكنها. وعلى كل حال فهناك كثيراً من التماثيل في هذا المعبد ترجع إلى عهد هذه الملكة وتعبر بصدق عن مستوى الفن الرفيع في هذا العهد. ويظهر أن هذا العهد السلمي الطويل الذي نعمت به مصر في ظل حكم حتشبسوت قد أطمع البلاد الأجنبية الخاضعة لمصر في أن تتخلص من سيادتها وأخذت تميل إلى الثورة ولكن تحتمس الثالث الذي خلف حتشبسوت في الحكم فمليا خرج في حملة إلى آسيا لكي يحافظ على أسس إمبراطوريته وكانت هذه الحملة بداية طيبة إذ أن نجاحه الساحق فيها جعله يوالي نشاطه العسكري في تلك البلاد فكان يخرج إليها كل عام تقريباً، وقد بلغ عدد هذه الحملات التي خرج فيها إلى آسيا ست عشرة حملة كان ينظم خلالها شؤون البلاد ويشرف على تنفيذ ما كان يأمر به من معابد ومباني، وفي حملته السادسة استطاع الاستيلاء على قادش وأصبح من اليسير أن يصل إلى نهر الفرات بعد ذلك. أما في حملته الثامنة فتمكن من الاستيلاء على مدينة قرقيش وأقام لوحة إلى جوار لوحة جده تحتمس الأول عند ذلك قدمت مملكة ميتاني ومملكة الحيثيين هداياها الثمينة إليه طلباً لصداقته وكذلك فعلت ممالك آشور وبابل، وأصبحت مصر صاحبة النفوذ في غرب آسيا. ولأجل عدم تكرار الثورة بوجهه في هذه الأنحاء اتخذ موقفاً جديداً في الدبلوماسية إذ أنه أحضر أبناء أمراء تلك البلاد التي أخضعها لكي ينشئهم في مصر مع أبناء كبار رجال الدولة حتى يشبوا على حب مصر وصداقتها ويظن أنه كان يقدر الرجال ذوي المواهب ويحسن اختيار الأكفاء لشغل الوظائف المهمة ومن المناظر التي نقشت على جدران المقابر من هذا العهد يمكن أن نتبين مظاهر الرقي في الحياة الاجتماعية التي سادت عصره ومقدار الثراء الذي أخذ يتدفق على مصر فيه، ومن أشهر مشروعاته العمرانية كان تشييده لبعض المباني في مصر والنوبة ومن أهمها

المعبد الكبير الذي بناه في الكرنك كما أقام عدداً كبيراً من المسلات في مختلف أنحاء مصر. وعندما نشأ أمنحتب الثاني كانت مصر في عهد وصلت فيه غاية مجدها العسكري، وقد عثر على لوحة بالقرب من أبو الهول تصف فروسية أمنحتب الثاني وحبه للرياضة ومهارته فيها. ومن جانب آخر وجه هذا الملك

همه إلى إظهار حدود مملكته وتوسيعها جنوباً لذا بلغت حدود مملكته الشلال الرابع وأقام في تلك الأنحاء آثاراً حجرية أثبت فيها حدود مملكته.

أما في مجالات العمران فقد شيد أمنحتب الثاني معبداً على شاطئ طيبة الغربي بجوار معبد والده ورمم في الكرنك الساحة الكبرى فأقام الأعمدة التي نزعتها الملكة حتشبسوت ورصعها بالمعادن الثمينة. أما في عين شمس ومنف فشيد عمارات وأصلح الأبنية التي بناها الملوك السابقين له.

ولما توفي أمنحتب الثاني ولي بعده تحتمس الرابع عرش مصر، وتدلنا نقوش معبد آمون بطيبة أنه بعد أن أخمد ثورة في آسيا رجع عن طريق لبنان وشحن كمية كبيرة من خشب الأرز إلى طيبة ليبني سفينة مقدسة للمعبود آمون، ثم استخدم عدداً من الأسرى الذين أتى بهم غالباً من فلسطين للعمل داخل معبده بطيبة. ومن وجهة نظر سياسية رأى أن من مصلحته الزواج بأميرة من بيت الملك الميتاني، وبهذه الوسيلة تمكن تحتمس الرابع من عقد معاهدة ثابتة مع الميتانيين. ثم عقد تحتمس مخالفة صداقة مع بابل (كاردونياش) وأصبحت الملكة المصرية في هذه الآونة وبالأخص عندما اعتلى ابنه أمنحتب الثالث العرش بالغة أعظم درجات الرقي والحضارة وقد أظهر أمنحتب الثالث مقدرة عظيمة في إدارة شؤون الإمبراطورية عند توليه الحكم فلم يتجاسر سكان الإمبراطورية في عهده على القيام بثورة وكانت تلك الجهات المختلفة للإمبراطورية هادئة كما كانت الحضارة والرفاهية بالغتين بها الدرجة القصوى، ولما كان الأمن قد استتب في أنحاء الدولة فإن الجزية والهدايا تدفقت إلى مصر بانتظام وأصبحت خزائن فرعون مليئة بالذهب، لكن الملك الشاب كان محباً لحياة الترف التي أبعدته عن نشاطه العسكري وأقبل على مصاهرة ملوك الممالك المجاورة وعمت صلاته بهم، لذا تزوج من أميرات من ميتاني وبابل وآشور. وهكذا وبصورة عامة فإن أغلب جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والدينية والعسكرية تظهر على نقوش آثار ملوك المملكة الحديثة في الأقصر والكرنك وغيرها من الأماكن. لقد ترك هؤلاء على جدران المعابد فصولاً كاملة لتاريخ البلاد وحضارتها وعلى جدران هياكلها نرى المناظر التي تمثل مواكب المجد في ذلك العصر مع مناظر المعارك الحربية التي خاض غمارها ملوك مصر المحاربون من الأسرة

الثامنة عشرة وعندما أتقن المصريون فنون الحرب على نطاق واسع بعد طردهم للهكسوس، بدأوا عهداً جديداً وكونوا إمبراطورية كبيرة. وأصبح الفراعنة قواداً لجيوشهم التي أحسنوا تنظيمها وظلت إمبراطوريتهم

من القرن السادس عشر حتى منتصف القرن الثاني عشر ق. م. وإن دلائل ذلك المجد الامبراطوري تظهر في مصابة الكرنك وطيبة.

أما المعيشة والأحوال الاجتماعية فقد تغيرتا كثيراً عما كانتا عليه سابقاً لأن حكام الأقسام الذين كانوا ينتخبون من الأعيان وأقارب الأعيان أصبحوا الآن يعينون من موظفي الحكومة بلا مراعاة لحسبهم، وبذلك اتسع نطاق الترقي أمام طبقة الأهالي الوسطى وصار لهذا التغير تأثير تدريجي في نفوس القوم، وبهذا لابد وكان الموظفون ينتمون إلى طائفتين، الأولى تشمل صغار الموظفين المنتخبين عادة من الطبقة الوسطى والثانية كبار الموظفين المنتخبين من الأسر العريقة. ثم التحمت الثانية تدريجياً مع حاشية الملك التي كان أفرادها يديرون مصالح الحكومة المركزية ويقودون قوات الفراعنة في الحروب فأصبح أعيان البلاد كبار موظفي الدولة.

أما طائفة التجار والصناع والفنيين فقد اعتبرت مكملة ومتممة لفريق صغار الموظفين الحكوميين. يلي ذلك طائفة المزارعين الذين يحرثون الأرض منهم عبيد الفراعنة وكانوا سواد الأمة الأعظم.

ازداد عدد الكهنة بمرور الزمن تدريجياً وازداد كذلك نفوذهم وتدخلهم في رسم سياسة الدولة. ثم أن زيادة ثروة المعابد تطلبت عدداً كبيراً من الموظفين للقيام بأعمالها من مختلف الحرف التي لم تكن معهودة في العصور السالفة. وصارت طائفة الكهنة مشهورة ومعروفة عند الناس بعد ما كانت قليلة الاتصال والارتباط بالأهالي واعترفت الحكومة رسمياً بأفراد هذه الطائفة وعين لهم (رئيس كهنة آمون) المعتبر رسمياً لمعبد طيبة الحكومي. وبهذه الطريقة فاق كبير كهنة آمون رئيس كهنة عين شمس ومنف وغيرهما من الأماكن وتساوت منزلة طائفة الكهنة الاجتماعية بطائفة الجنود وموظفي الدولة.

أما مالية المعابد فقد اتسعت وكثر عدد الكهنة وتوسعت مهماتهم وكانت هذه نتيجة من نتائج الغنائم الكبيرة التي استولى عليها الفراعنة في البلاد الأجنبية وزعت على المعابد لقد تدفقت الأموال على مصر، كما ذكر، آتية من آسيا ومن بلاد النوبة، فساعدت هذه الثروة على وجود عهد يمتاز بالفخامة والقوة لم تعرف مصر له شبيهاً من قبل، ووضح أثر هذا العهد ولاسيما فيما تركه من مبانٍ ضخمة رحبة، فمعابد

طيبة في أيام الامبراطورية أحاطت بها حقول ملأى بأشجار النخيل وقامت أمامها المسلات وتماثيل الفراعنة، وكان كل شئ دقيق الصنع ملوناً بألوان زاهية جذابة، وكانت بعض الأجزاء من هذه المباني

مغطاة بصفائح من الذهب او الفضة وتنعكس صورتها في مياه بحيرة المعبد وكانت الشمس تضئ الردهات الواسعة للمعبد. كما كانت مدينة طيبة بأكملها مقامة على نظام متجانس، ويعود الفضل الاكبر في هذا التقدم المعماري الى كل من المثال والرسام اللذين لونا الأعمدة ذات التيجان كما لونا مناظر الحرب بألوان زاهية براقة، وقامت تماثيل الملوك امام المعابد وكان بعضها عظيم الحجم وتزن مئات الأطنان وقد استطاع مهندسو العصر الامبراطوري نقل كثير من امثال هذه الأحمال الثقيلة الى مسافات بعيدة من اماكنها بقوى انسانية، ويقوم الآن في طيبة على الشاطئ الغربي للنيل تمثالان كبيران للملك امنحوتب الثالث من تلك التماثيل الثقيلة.

كان الملوك يعدون انفسهم بكل ما يساعدهم على ان يحيوا حياة رغدة مترفة بعد الموت وأفخم ما وجد من الأثاث الجنازي في مقابر الملوك كان محتويات مقبرة توت عنخ آمون كما ذكر، وتمدنا مقابر الامبراطورية باشياء اكثر من تلك الأدوات التي كانوا يستعملونها اثناء الحياة. فاننا اذا درسنا النقوش والنصوص التي تغطي جدران مقابر جبانة طيبة نرى التقدم الكبير الذي أحرزه هؤلاء في الآراء الدينية بعد عصر الأهرام. فكان كل واحد من أصحاب القبور يتوقع ان يلاقي حسابه في العالم الآخر حيث كان (أوزيريس) هو القاضي الأعظم والملك بين هؤلاء الموتى (راجع الهامش رقم ٢٧).

وكان كل ميت يستطيع ان يحيا مرة ثانية ويقوم من الموت كما فعل اوزيريس وكان أصدقاء الميت وأهله يضعون في التابوت الذي يحوي جثته ملفاً من البردي يحوي ادعية وتعويذ سحرية كان من المفروض أن تعينه في حياته التي سيحياها بعد الموت.